الأستاذ: ميهوبي عثمان أدب مقارن السنة الثالثة لسانس

المحاضرة الأولى

مدخل إلى الأدب المقارن

تمهيد: ممّا لاشك فيه أنّ ظاهره تأثر الآداب فيما بينها ظاهره قديمة، ولعل من أقد مظاهر التأثير والتأثر تلك التي سجلها التاريخ وحفظها لنا، إذ تشير الكثير من الدراسات الأدبية أن الأدب اليوناني كان له بالغ التأثير في الأدب الروماني « **ففي عام 146ق.م انهزمت اليونان أمام روما، ولكنها ما لبثت أن جعلتها تابعة لها ثقافيا وأدبيا** » وقد أشار الكثير من مؤرخي الأدب والفكر إلى أن روما هي مدينة وحاضرة اليونان في شتى العلوم، وهو الأمر الذي نجده هوراس "8-85ق.م"إذ يقول« اتبعوا أمثلة الإغريق، واعكفوا على دراستها ليلا واعكفوا على دراستها نهارا» وهذه إشارة واعتراف أن الرومان تأثروا كثيرا بحضارة اليونان.

وفي هذا لإطار نشير إلى فكرة تبادل أدبنا العربي التأثير والتأثر مع العديد من الآداب الأخرى، خاصة تلك التي صاحبت موجة الفتوحات الإسلامية في المناطق التي تماس بها واحتك بالأدب الفارسي ،أو بعد الانتشار الهائل والواسع لحركة الترجمة في العصر الأموي، والعباسي من الآداب اليونانية والهندية، وكان لذلك كله بالغ الأثر في ازدهار بعض الاجناس الأدبية ونشأة بعضها، وحدوث تطور في التفكير والتعبير الأدبي، وقد امتد تأثير الادب العربي كذلك في أعقاب اتصال الاسلام بأوروبا « **وكان للعرب فضل توجيه الأنظار إلى قيمة النصوص اليونانية، بما قاموا به من ترجمات الفلاسفة اليونان وخاصة ،وخاصة أرسطو فحاول رجال النهضة الرجوع إلى تلك النصوص في لغاتها الأصلية** » ، هذا وقد كان لفتح العرب شبه الجزيرة الإيبيرية بالغ التأثير في الآداب الأوروبية، والأخذ منها في العديد من المجالات الثقافية ، بالإضافة الى الاستعمار والبعثات العلمية واحياء حركة الترجمة في العصر الحديث فقد كانت ظاهره التأثير والتأثر بين الآداب موجوده، إلا ان اكتشافها والاعتراف

بها لم يتم إلا مع بداية القرن 19 حوالي 1827م وذلك نظرا للظروف التاريخية التي كانت سائدة .

شهد القرن **18م** مجهودات الكثير من الشعراء والأدباء الغربيين الذين مهدوا الطريق لما يعرف بالدراسات المقارنة وهو الأمر الذي نجده عند كل من كورني وفولتير وغوته وغيرهم « **قد اتسعت آفاقهم في نقدهم الأدبي فعرضوا لآداب أمم أخرى بالنقد والموازنة ولن نقدهم لم يرم إلى شرح التأثير والتأثر من الوجه العلمي**» الذين مهدوا الطريق أمام الدراسات المقارنة.

وإذا كان القرن 18م قد مهّد الطريق فلسفيا وادبيا للدراسات المقارنة فان القرن 19م كان هو القرن الذي ولدت فيه فكرة **الأدب المقارن** كما تغيرت فيه الكثير من الأفكار التي كان مسلما بها مسبقا مع قيام الثورة الفرنسية أواخر القرن 18م.

حيث تغيرت النظم السياسية والاجتماعية والعقائدية مما أدّى الى تغير الأدب انتاجا ودراسة، وكان مفتاح هذا التغيير حلول فكرة الاختلاف والتغيّر بدل الاستقرار والتّوحّد وحلّ محلّ الاهتمام بالتاريخ الاهتمام بالإنسان، ولم تعد الطبقات العليا والمتوسطة التي حددها الأدب الكلاسيكي هي وحدها التي تلتمس عندها الحقيقة، وإنما أصبحت الطبقات الدنيا في المجتمع من صناعيين وفلاحين وحرفيين أيضا جانب من الحقيقة ولم تعد هذه الأخيرة محصورة على ما قاله الأدباء وحدهم، بل إنّ المعاصرين لهم ايضا جانب منها، وهي حقائق متعددة بتعدد الشعوب.

فليست مقصورة على الفكر الاغريقي واللاتيني او على ادب ابناء الجنوب ولكن يوحد قسط منها في كلّ شعب، وكلّ مناخ، وكلّ لغة، وبذلك لم تعد آداب الاغريق واللاّتين هي النموذج الذي يجب محاكاته فقط، وعلى هذه الأسس العامة قامت الحركة الرومانتيكية في الادب ابداعا وتنظيرا، وكانت من خلال ذلك أداه تعين على اتصال الآداب فيما بينها، وتمهد للدراسات المقارنة، كما لعب بعض مفكّريها دورا لا يستهان به في ذلك، ومن بينهم: **مادا دي ستايل**

(M.de Staelle) التي مكنت من اتّصالها القوي بالأدب الفرنسي والالماني بإقامتها في سويسرا التي استقاها من اللغتين من ان تعقد جسرا قويا بينهما، وان تؤكد على اهميه استفادة كل شعب من افكار الشعوب الاخرى قائلة: **(إنّ الأمم ينبغي ان تستهدي كلّ واحدة منها بالأخرى، ومن الخطأ الفاحش ان تبتعد أمّة عن مصدر ضوء يمكن أن تستعيره...)** وقانون الفكر يقتضي بان الذي يأخذ هو الذي تزداد ثروته..."